ابراهيم العريّض

أرض الشهداء

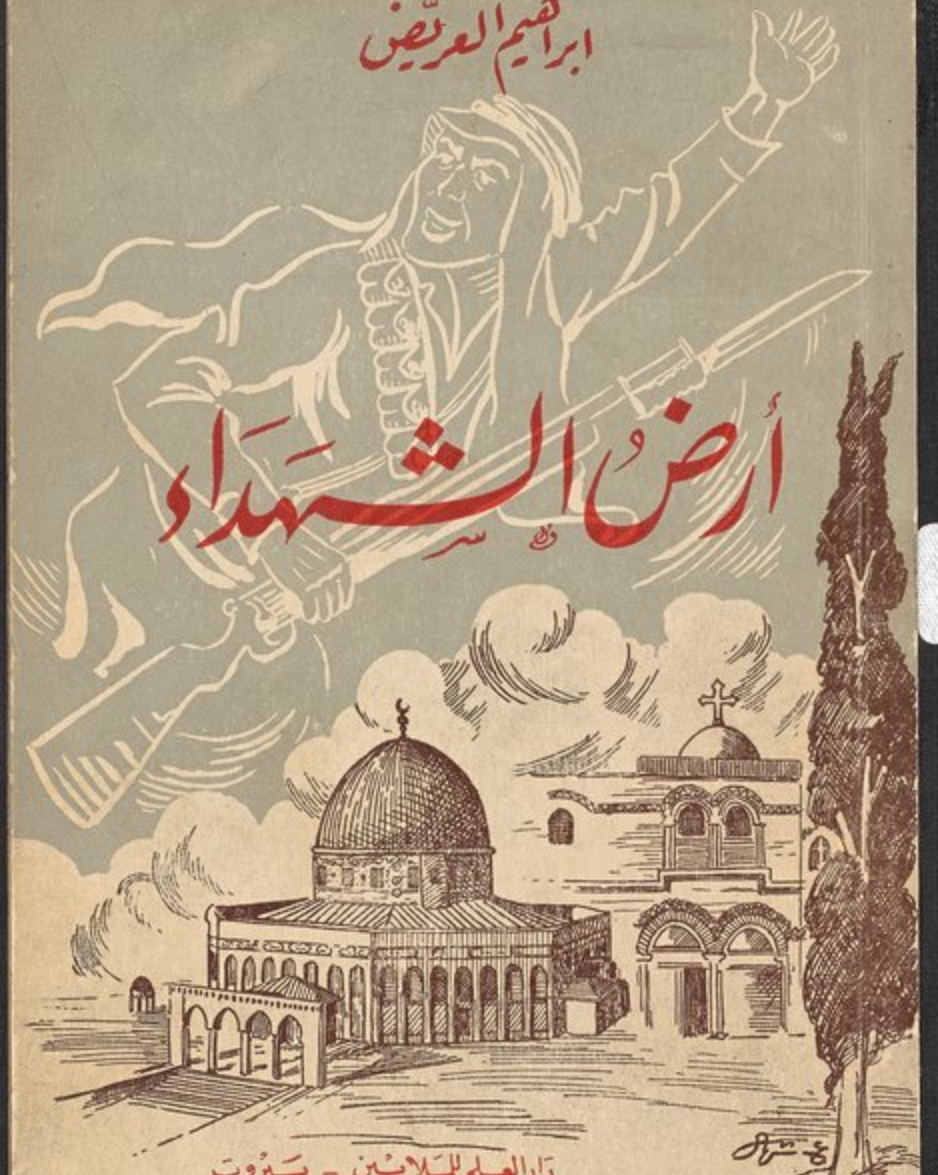

دار العلم للملايين - بيروت

2276
9354
.312

2276.9354.312
al-'Uryyid
Ard al-shuhada'

DATE

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 072249475

أرض الشهداء

Ibrāhīm al-ʿUrayyiḍ

ابراهيم العريّض

Arḍ al-shuhadā'

أرض الشهداء

ملحمة شعرية

عن مأساة فلسطين

دار العلم للملايين

بيروت، ١٩٥١

الى

الذيـــن

سيغسلون بدمائهم عار الأبد

ولعنة الاجيال

الى

محرّري فلسطين

في المستقبل القريب

6-7-54 Carnegie

2276
.9354
.312

زمان الملحمة :

من ١٩٤٧ الى - ؟؟١٩

مكان الملحمة :

أرض فلسطين

فاتحـــة

•

يا فلسطين ! وما كنتِ سوى
بيعـــة الارض
على كف السماءِ
اشهدي .. ان بياني قد روى
فيكِ مـا يُرضي
قـــلوب الشهداءِ

*

هذه التربة .. مُذ غنى
بها اهلُ الحداءِ

لم يُطهّرها من الرجس
سوى تلك الدماء

كم زكا المسجد من
أعرافهم ، بعد الفناء

كم بكى الغيثُ عـــلى
اجسادهم ، وسط العراء

كم ربيع مرّ ... لم يعرُج
عليهم بهناء

فاستمر العود عوداً
ما بـه أدنى رُواء

وشتاء ... طال حتى
ملّ من فرط البلاء

وتمادى الظلم فيها
لغزاة أدعياء

فكأن الليل شيءٌ
ما له معنى انتهاء

ثم ... جاء الفجر يسعى
بتباشير الضياء

فاذا البعثُ ... له الفُ
لسانٍ في الفضاء

غنّت البيدُ بها ـ ثانية ـ
لحن السماء

هذه أرضك ، يا دعد ،
وارض الشهداء !

٣٠ ذي الحجة ١٣٦٩
البحرين

ابراهيم العريض

في الفردوس المحفوظ

١

جبل الزيتون

أيّها اللّيلُ !.. ومن همسِ النجوم
أُلهِمَ البلبلُ
آهاتِ شجاه
إنْ توارَى حسنُها خلفَ الغُيوم
فهي فوقَ الورد
حباتُ نـــداهْ

*

صرفَ الـــبرقُ الى ضاحيةِ
« القُدسِ » عنانَهْ
بعدَ انْ قهقَهَ في آفاقِها
يُعلنُ شانَـــه
ماردٌ ... غامَ عليهِ الليلُ ،
فاستعدَى حصانَهْ
وتجلّى ... مُلقياً فوقَ
روابيها جِرانَهْ
مُستطـــيراً ، كلّـــما لوّح
بالنورِ بنانَـــهْ
فكأنّ الصبحَ قدْ أسفرَ ،
والصبحُ مكانَهْ

كلُّ دمـــعٍ ثرّه الشلاّلُ
يُعطي لمعانَـــهْ

بينَما تسمعُ في رجْـع
الشحاريرِ بيانَهْ

واستهلّ الغيثُ في شُؤبوبهِ
بُوفي ضمـــانَـــهْ

بلآلٍ جرّهـــا من خيطِه
بعدَ الصيانَهْ

فتهاوتْ في قطـــارٍ
مثلَ الشعرُ اتزانَهْ

وتثنّى كل دوحٍ في الرُبـــى
يَحكي حِسانَهْ

تَمِلا ... يُحصي على جيدِ
الأزاهيرِ جُمانَهْ

* *

برزت من خدرها شمس الضحى
والضحى يلعب بالنرد
نهارَهْ
ما ترى القمريّ يشدو فرحاً
سرّه أن خلع الورد
عذاره

*

اقبل الراعي ضحى ـ بالناي ـ
يستاق ضئينه

ناعم البال .. كأن الحب
قد زكّى شؤونه

فاذا جميزة خضراء
في درب المدينة

فوق مطلول غدير
غضّنَ العشبُ جبينه

شبكت راحتها تحمي
من الشمس معينه

تتملى حسنها
في زرقة الماء ـ حزينه

أبداً ... ما اشبهت حيرتها
إلا سكونه

هي مثلي ... أنزل الله
على قلبي السكينة !

سائلِ الظبيَ - وفي حرمتها
عاش سنينه -

هل اتاها مطفلاً قط ،
فلم ترع حنينه

بغصون خفقت اوراقها
للريح ، دونه

فاذا حركت الريح
من النبع شجونه

انها اول من تسمع
في الوادي انينه

* *

عاش حراً .. جلدهُ بعض لباسه
في البوادي
نايه بين يديه
كل ظبي مـــا تناهى عن شماسه
بوداد
يُشرع العين عليه

*

لبث الراعي على مورده
الصافي ... ضحاها
يرقب الضأن ـ على الضفة ـ
ترعى ، والشياها
من رآه شارد الانمل ،
قد زمّ الشفاها
سادراً ، ينفخ في الناي
هواه ... بلُغاها
فـــاذا الظبي عليه
يحسد المعزى شجاها
انـــه يبدي هواه ،
مثلما تبدي هواهـــا

كلما بدّع في انغامه
تاهت .. وتاها

فتودُّ الريح لو طارت
بعيداً بصداها

ثم عادت ـ من جديد ـ
تتوانى في خطاها

وقعُها الناعم كالسحر
على خضر رباها

ومهاةٍ .. مرّغت في
سندس الاعشاب فاها

ثم دارت تسأل الاخرى
شروداً : ما دهاها ؟

واستمر النبع في أُذنيها
يضحك : ها ها !

**

من رأى – رؤيتَه – قوس قزح
يتوارى ، في شفوف
من سناه
او رأى بُلغته ، حيث سرح
من زُهُوّ ، ورغيف
كفياه

*

أقبلت تحمل في سلتها
« دعْدُ » غذاءه

في خمار ، أرسلت فضلته
فوق مُلاءه

خلع الحسن على ما
رف منها كبرياءه

لا ترى من شعرها الا
العناقيد ازاءه

ورآها ... فرأى في
قلبه الشمسَ مُضاءه

قال : يا حيّاكِ ! وافتر
لعينيها فجاءه

فاذا طرْفٌ حيىٌ
يدها غطت حياءه

ليت شعري هل وعى الجميز ،
اذ مالت وراءه ،
تسحب الذيل خفيّاً
وعلى الرأس عباءه ،

أنها تشعر منه خجلاً ،
رغم البراءه ؟

أسفري أختاه ! من يجهل
في الارض إباءه

خمرُ عينيك ...أما خالط
ذوبُ السحر ماءه؟

حبذا أنتِ ، حوى منك
- على البؤس - هناءه

* *

« حدثيني يا مهاتي ! عن أخيك ...
انه صار عمادا
لرجاله ... »
« صنته بالورد مما قد يشوك !
كم يدٍ تذري رماداً
لقتاله »

*

هاجت الذكرى أساها
فهفت تتلع جيدا
ها هي « القبة » .. لا تبصرها
الا شرودا ..
تتوارى ، عند تلّ
لاح في الافق شهيدا
انها توشك ، مما قد عراها ،
ان تميدا
فأدارت طرفها للنبع
ينساب بَرودا
ثم قالت : أفمن « تاه »
كمن يمضي رشيدا ؟

آه يا ظافر ! لو كان
لأنثى ان تريدا

جلجل الرعد على صوتي
في الأرض بعيدا

قائلًا : صهيون ! قف حدّك ،
جاوزت الحدودا . .

بقعة بورك في زيتونها
غرساً وعودا

جئت في مسجدها ترفع
للظلم عمودا

هي لم تلفظ « كنا » بالأمس
حرباً ، لتعودا

أنصرف عنها ، فقد حرّمها
الله اليهودا

**

« ما لدفع البغي جند كالعسل . .
وعليه ، لا على النحل
المدار ! »
ذاك ما يزعمه بعض الدول
أين من بغيهم عدل
نزار ؟

*

لا تراعي ! ليس كالفتنة
ما يجلو الغواية
ما على الارض سوانا
حمل التوحيدَ رايه
طهّر الله بنا « البيت »،
وهم تلك النفايه
كم دعوناه ... فلبّى
فدعي أمر « الوصايه » . .
جعلوا من بوقها في الارض
سهماً للنكاية
ما لما يضمره القوم
من الخبث نهايه

هم .. اذا ما اشتعلت ناراً ،
جروا فيها لغايه

وأدالوا أمرها - حسب
هواهم - بالدعايه

ليس دعواهم على « ميراثها »
غير حكايه

نحن من في غرة الدهر
وصمناهم بآيه

خزيها ما زال - كالكيّة -
يعميهم عمايه

فاذا شاءوا - وقد شاءوا -
أعدناها بدايه

عقدة .. في حلّها المنسي
انهاء الروايه

* *

وثغا من خلفهـا جدي صغيرُ
كيف لا تدفع عنـه
باليدين
فمه في الضرع ... بالشاة يدورُ
و كأن العين منه
ألف عين

*

وارتمى بين يديهـا الجدي
– يعطو لنواله
عند ركن ، قام – كالمسند –
صخرٌ عن شماله
يطرح الماء عليه الرأس
من طول ملاله
كلما أتعبه الجري
تراخى في ظـلاله
هامساً ... تحسبه
يشكو اليه من كلاله
من رأى – اذ لمست من
ذيلهـا ، خوفَ بلاله –

خوَضها .. والماء يطوي
تحتها عري خياله

او رأى الجدي ـ وما أبدى
لها غير احتماله

صبّها ملء يديهـــا
غرفةً ، فوق سباله

هو كالمشدوه منها
رأف الله بحاله

ارفقي يا دعد ! بالجدي ،
فما الجدي كخاله

كل رفد جاءه منك
يؤدّي لجباله

كان أولى منه بالبِر
لمن أنت بباله

**

زال قرن الشمس يرمي شرره
فسقى الشرقين من نار
لظاهْ
ثم قام الليل يلقي درره
فهو يرعاها ، معنّى
بالشياهْ

*

هو ذا - والليل في دولته -
يرقب نجمَهْ

كلما ذرّ عليه
« أمل » المانيّ ثمه ..
ناشد الكوكب لو حلّ
لعينيه طلسمه

ومضى يملأ أفق البيد
باللألاء حكمه

وحده ، بين شياه
رزمت - في وسط ظلمه

غير نار لعبت ألسنها ،
تخطف رسمه

توشك الاشباح ان تأخذ
منها ، ثم تعمه

لا ترى العين بها ، من
كل شيء ، غير وسمه

وتحفق الريح من جانبها
الغربي نأمه

وأحسّ البردَ في أطرافه
يشحذ سهمه

فانثنى ملتفعاً بالبرد،
يطوي فيه جسمه

واذا النوم بجفنيه
قد استأثر رحمه

فرأى حلماً قبيل الصبح
. . هل يذكر حلمه ؟

* *

آه لو حلمك من سوق عكاظ
نشتري يا قلب منه
وندع
روضة الحب تغشاها شواظ
لاتلم من طار عنه
بفزع

*

قد رأى ـ فيما رأى ـ روضاً ،
على شط غديره

هو فيه طيره ، ينعم
عيناً ببكوره

حوله ذات جنـــاح
شاركته في حبوره

فُصّل الريش عليها
من تهاويل زهوره

فوق غصن ، كلما مالا
سواءً بسريره

أبصرا الدنيا .. وما الدنيا
سوى فيض سروره

فاذا رجّع ، ماج الروض
من حسنّ صفيره
واستمر الماء يلتاث
صداه بخريره
ناعم الجرة في شدته –
مثل حريره
كل هذا .. وهو في مأمنه
نهبَ شعوره
واذا نار – ولا كالنار –
من جانب طوره
ضربت لفحتها الروضَ ،
فهاجت بطيوره
و .. انتهى الحلم على
واعية دوّت كصُوْره

**

صدقت رؤياك ... ان عشت لها
بادرِ الذيب ، فقد أودى
بشاتك
واذا الشاة مضى الذئب بها
ايها الراعي ! فبُعداً
لحياتك!

*

واستدارت عينه ـ يقظى ـ
الى ما ضاء حوله!

كاد ضوء الفجر ان يعثر
بالأنجم غفله!
اين سرب الضأن .. من شتت
في مرعاه شمله ؟

انه يوجس خوفاً
ليته يشهد فأله

فاذا ذئب ـ على حشرجة ـ
يعرق صخله

بعد ان أودى بها ، والدم
قد سوّد فعله

واذا الجدي ، على محنته ،
يثغو محله

فرمى البُرد بعيداً
قلبُه في البُرد شعله

وعدا بالرمح ، لو صادف
عند الذئب مهله

لم يكد يومي به حتى
أراه الذئب ظِله

ومضى يعدو ، كأن لم
تشهد الأنجم فعله

انه يحنو على الجدي ،
وفي عينيه بِله

ويرى الشاة لقى الجنب ،
كفاها الموت مُثله

* *

ورأته شارد اللب .. مكانهْ
فدعت فرطَ التياعٍ :
ما دهاك ؟
قال : ويل لِيَ من حمل الامانه
جاء ذئب .. نام راعٍ
هو ذاك

*

قال « يا دعد ! لقد أفزعني
حُلم رأيتُهْ
انه ينذر بالشؤم ،
فان شئتِ رويتُهْ
كنت كالطائر فيـــه
طاب في الاغصان بيته
لِبنُه من ورق الورد ،
بمنقاري بنيته
بجواري أنتِ ، في دلٍّ
كأحلى ما اشتهيته
كنت ألقاك – من الغصن –
بلحن ... سال صوته

فأعي من ردك الناعم
سحراً ما وعيته

فـــاذا الروض حياة
نحن فيه ما حكيته

وسُعدنا حُلماً ، حتى
اذا قلت : رعيته !

علقت بالروض نـــار
فتهاوى ما هويته ...

انا منه قلق ، دعدُ ،
فلا يمكن فوته

ثم .. لا أنسى حديث الذئب ،
غال الذئبَ موته !
انه بيّت بي غدراً ،
فهلاّ اذ رميته ... »

* *

ليس في حلمك هذا ما يريبْ
ان طير الله طيركْ
قل : نعم !
انما قد هدد الاوطان ذيبْ
ما لهذا الذيب غيرك
يا ابن عمّ !

*

استعذ بالله يا ظافر !
من سوء المغبّهْ
كيف يخشى غيلة الاشباح
من يعبد ربهْ
انها أضغاث أحلام ،
وبالميتة أشبه
ما على « طيرك » بأسْ
بارك الجدول شربه
منذ سارونا معاً جميزهْ
لحنَ المحبه
ظلّنا في مائه ، إنْ
نفترش شيئاً فعشبه

ان يكن فألاً ، فما أوّله
ذئبكَ كذبه

فدع الحزن على شاتك ،
ما في الموت إربه ! »

قال : لا ضير ! لقد صاح
بيَ الله : تنبّه !

كنت في غفلة احساميَ
لا ادفع كربهْ

واذا بي الساعَ اهوى
لو يزوع الليل ذئبه

في يدي ، حتى يرى كيف
أُجرُّ الرمحَ قلبَه

فسيعوي – ابداً – من
وطني في دار غربه

* *

هو يهواكِ .. كما يهوى الشعاع
فُصّل الحب على المالِ
لديه
لا تلوميه ، اذا قال : الوداعْ !
قد دعاه الوطن الغالي
اليهِ

*

اذكري دعدُ ! . . وما كنت
لتنسُي في صلاتك . .
موقفاً ، كم خضّل الدمع
عليه نظراتكْ
لم يكن شاهدَه البدر ،
فيرعى لفتاتك
حول نار بوركت ، ضاء
لها رحل حُماتك
اذ تهالكت على نفسك
في لمّ شتاتك
وهو يرنو لك بالحسنى ،
ويُغضي عن هناتك

فتلجلجتِ بصوت
فيه معنى عبراتك :
« لا تدعني للأسى ، يفعل
بي فعلَ عداتك
هم كثيرون ، وعهدي بك
في ـ القلة ـ فاتِكْ
فاذا ـ لا سمح الله ـ
ألانوا من قناتك
فتململتَ جروحاً
من لها .. غير فتاتك ؟ »
فأبى .. الا بأن ترعَيْ له
بضعة شاتك ..
وأضاء الصبح مرعاكِ ،
فألفاكِ . . لذاتك

**

في الفردوس المحفوظ

٢

نشيد الأنشاد

غابت الشمس ... وهذي أختها
زفها المسرحُ
فالليل نهارْ
كل أمٍّ أشبهتها بنتها
بين حسن مشرقٍ
او . . مستعارْ

*

لعبت في المسرح الانوارُ
إيذاناً بسهرَهْ
فاذا الليل يرى في
جنحه للصبح غرّه
ومشى الناس وفوداً
تتبارى « للمبرّه »
كلهم يحسب ان الحسن
يستوفد بِشره
دون ان يسأل : ما الربح ؟
ويستطلع سره
كل حسناء لهـــا في
معرض الازياء َضرّه

ردنها ينفح بالطيب ،
وفي الخدين جمره

بينما تعلق هذي
بفتاها مستمرة

اذ بهاتيك تَتَثنّى
وسط الفتيان حرّه

حظهم من بعضهم ، في
موكب الاشباح ، فِرّه

كل غيداء .. لها من
جنسها همس ونظره

واذا هم موجة تزخر
من نهر المجرّه
او كأن الليل بحرٌ
نثر المسرح درّه

* *

هل تعي المرآة ماذا عكست
لعيون تتحرى
بالنظرْ
ضحك الثغر ، ام العين بكت
صفحة المرآة أدرى
بالخبرْ

*

وقفت « ثامار » من زهو
الصبا في حلتين

تجتلي بين المرايا
قدّها من جهتين

في شفيف ، لا يواري
حلية منها بصونِ

فتراه ... مسّ ما حاذى
بياضَ العضدين

والقفا ، مساً رفيقاً
ثم عرّى المنكبين

طالباً - في صدرها -
برعم نهديها بدَين

فاذا رقته تطغى
على قسوة دَين

هو لم ينهض على مئزرها
الا بهوْنِ

فهوى كالماء عن ربوته
في موجتين

مبدياً فجوة ما بينهما
ـ لمحةَ عين

ثم جلى فخذها البالغ
صقلاً كاللجين ،

انه يحمل للمسرح
احلى قدمين ...

ما لنظارتها منه
سوى .. خفّـي حُنين !

* *

سبحت أيد ، وعامت أعينُ
كيف لا يرقص بالحوض
السنى
نرجسٌ ام وردة ام سوسنٌ
كلُّ ما غالى به الروض
هنا

*

وتعالى الستر - كالصفقة -
ينزاح مبينا
عندما جلجل فضيّ الصدى
فيهم رنينا
مبدياً ثامارَ كالتمثال
يسترعي العيونا
حلم التمثال .. ام من
سحره يلعب فينا ؟
ثم في المرمر دبّت
هَيْنَةً روحُ أثينا
فمضى يُظهر في الرَيط
من الغُنج فنونا

فـــاذا للخصر شأن
وحده – خفضاً ولينا

مرة يُغري حراكاً
مرة يغري سكونا

هو ذا يملأ بالذيل
يديه مستعينا

ثم ينداح بلِفْقيه
شمالاً ويمينا

موقداً للشهوة الحمراء
في الجسم أتونا

فيمس الصدرَ حيناً
ويميس الصدر حينا

إنها الحية – بالتفاح –
قد جُنت جنونا ...

* *

دونك المسرحَ ... ان سرّك ان
تشهد المأساةَ ، مأساةَ
البشرْ
فهنا الأعزب يُلقي ملجأ
بينما العذراء مسّاةٌ
بِشَرّ

*

وتلقاها أبوها
وهو لا يخفي سرورهْ
قال « يا ثامار ! قد توّجك
الحسنُ أميرهْ
لكِ جسمٌ سوسنيٌّ
عندما يُلقي حريرهْ
قلّ ان يشهد – في فتنته –
الخلقُ نظيره
فُتنَ الجمهور من أملودِه
اليومَ بصوره ..
أرقصَ الوجدُ على حُسن
تثنّيه طيورَه

ان تَرَبِهِ راح - تصفيقاً -
يُغذيكِ شعورَه

او مشى نحوك في فتنته ،
يُذكي بخوره ،

فلقد أحسنت . . في جلوك
اوضاعاً مثيره

قد لمستِ الوترَ الحساس
منهم يا غريره !

فاعملي في الضرب شَرواك
على نفس الوتيره

شعبنا يأبى على العِجل
بان يخلع نِيره

نت عجلِ ، ولو وسّدك
الحب سريره ! . . »

* *

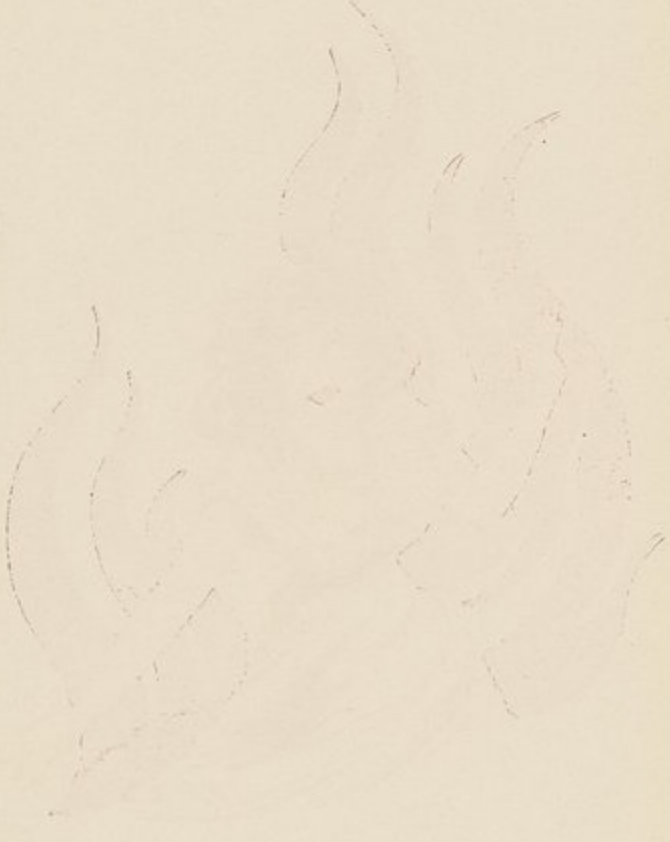

لعبت في رأسه الخمر ، فلم
يتورع .. ذاك فنٌ
حذِقه
ان تنم في حضنه او لم تنم
فهما : وافقَ شنٌ
طبقه

*

ورأت ثامار في البيت
أخاها بعد ساعه

إن في عينيـــه نوراً
تعرف الكأسُ شعاعه

قال : « بشراكِ ! فقد أُعلن
نوآ في الاذاعه ..

ما قضت من أُرشليـــمَ
الدول الكبرى انتزاعه

حقنا في الارض منذ اليوم
لا نخشى ضياعه

انه عيـــد يهـــودا
فاملأي بالقصف قاعه »

ثم أهوى بيديه
مالئاً منها ذراعه

وجرت أنمله دغدغة
... فالليل ساعه

أخذته عزّة الأثم ،
فظنتها شجاعه

فاذا رَبْطتُها تضحك
عن دنيا مشاعه

نفر النهدان منها
بعد دَلٍّ ومناعه

شعرهـــا يصرخ ، لكن
ردفها « سمعاً وطاعه » !

لقّفة الطفل ... وقد بلل
فاه للرضاعه !

* *

مطرحَ الخدّ ، على مهد الصبا
ترك الجاني عليه
أثره
أنظرِ المسندَ . يبدو متعبا
والحلى . . تصغي اليه
حَذِرهْ

*

وأفاقت أخت « صهيونَ »
سَحيراً من كراها

فثنت نُمرقها في
دِفئه تحت حشاها

ثم ظلت - تستعيد الحُلم
الدامي - سُداها

كيف لا تذكر وضعاً
سامحت فيه أخاها

فاذا الصورة يغشاها
ضباب من رضاها

انها تشعر كالروضة ...
جادتها سماها

نَوْرُها فُتَّـق وردا
ما لها لا تتباهى
كل حسناء لها ساعتها ...
وَفقَ هواها
ثم ألقت – بعد لأيٍ –
في تمطيها رداها
حوضُها الملآن لا يُنكِر ،
حتى لو رآها ..
تسدِلُ الشعر ، فيجري
فوق عِطفيها مِياها
زاوياً – عن ناظر المرآة –
في الموج ، سناها ..
غيرَ رِغوٍ فوق موج ،
لعبت فيه يداها

* *

جاء في الليل حبيبي . . لعذابي
ربحُه تسطع ، والنّيل
عسيرُ
مدّ يمناه الى كوّة بابي
ليته يُسرع ، فالليل
قصيرُ

*

« انّني نَرجس شارون ،
سقى المزن نَديّه

انني سوسنة — قـــد
حفّها الشوك نَقيّه

لوّحتني الشمس سوداءَ ،
ولكني بهيّه

تلك أثوابي من العطر
كلبنانَ شذيّه

نور الرمان للعصر ،
وفي الكأس بقيّه

قلت للناطور : هذا الكرم
قد ألقى جَنيّه

نِتَ عن ثعلبهِ ، فاتركه ...
او فافتحِ فريّه

فاذا الناطور لا يدرك
من قولي جَلبيّه

جاء في الليل حبيبي
مُلقياً لي بالتحية

كان خدّاه كأترلام
رياحين ذكيه

بطنه كالعاج ، مَن غلّفَ
بالياقوت زِيّه ؟

مد يمناه الى كوّة
بابي بشهيه

فاذا الاحشاء من حُظوتها
ترقص فيّه !! »

* *

جارةٌ ... خفّت الى جارتها
تحمل الصحْفَ اليها
والصوَرْ
هي كالـ « هاجر » من « سارَتِها »
فرطَ ما تُثني عليها
وتَبِرّ

*

وأتت – زائرةً – تِرْبٌ
لها ، ترفقُ طِفلهْ
نالت الصغرى على الوَصلة
منها نصفَ قُبله
« أنتِ من جيرتنا ، والجار
قد يُنكرُ أهله .. »
كيف لا تأنسُ من زوْرَتها
في كلّ عُطله
إنها تُلقي لأذْنيها
أحاديث المحِلّه
واذا موضوعها اليومَ
جديد ... لن تملّه ...

« أنظري الصورة يا ثامارُ !
في صدر المجله ،

تفـــتن الرّائي بدَل
سامريّ ، عشت أهله !

كنتِ في حفلتهم – ليلتها –
وحدكِ حفله

فنُكِ الخالقُ أضحى
فِتنةَ الخلق وشُغله

كل من لاقيت ، لا يقرع
إلا لك طبله ... »

فأشاحت وجهها ضاحكةً ،
في شبه غفله ،
ثم قالت « لا تغالي
فِيّ ، فالجمهور أبله ! »

**

من رأى الحسناء في غيرتها
وليالي الانس
أحلى ما تكونْ
كيف لا تُمعن في حيرتها
وحديثُ الامس
عنها ، ذو شجونْ

*

وعناها ان ترى ما
قاله الجمهور جِدّا
فانطوت في فكرة ، تجرحها
أخذاً وردا . . .
كيف لا تُغريهمُ بالشوقِ
« ماري » ، اذ تبدّى ؟
انهـا أفتنُ – لو هم
أنصفوا عيناً وخدّا
وهْيَ – لو تبدَحُ فيهم ..
ميسَها – أحسنُ قدّا
أيّ قدّ هوَ ! . . قد أطرَه
الطيبُ وندّى

ولهـــا صدر غريرٌ
ليس تدري ما أعدّا

لو جرت راحة مفتون
عليه لاستبدا

ولها أنحلُ خصر
كلما أرخته شدا

ولها سَبطُ بنانٍ
ناعم الاطراف جدّا

ثم فخذٌ ، ينطوي في
ذيله ، وصلًا وصدّا

كيف تدري ما وراء الذيل ،
الا ان يُحدّا
أَلِهذا يُحرِق الناس
لها عوداً وندّا ؟

* *

هذه السلعةُ .. لو ظلت على
صَوْنها ، بارَتْ ولم تلقَ
رواجْ
فدعينا من أحاديث الملا
واخطُري بالحسن ، في أرقى
بلاج

*

فاذا صوت أجشُ ..
انفلتت منه العباره:
« انها السلعةُ ، تحظى
برواجٍ ، في التجاره ..
عندما تُعرَضُ حسناً
تحت أضواء الحضاره
خطّ في فحمتكَ الاعلانَ
عنها كالشراره
وَهجُ النار يُريك الفحم
كالالماس تاره ... »
إنه صوت ابيهـــا
عائداً ، يخطب جاره

ورأت ضيفتَها تلتقطُ
- كالحيرى - حواره

فأساغته حديثاً
قاطعته بالاشاره :

« بحياتي ، إنه الصادق ،
لم يخطىء شعاره

منحةُ الدرّ اذا أُخرجَ
من بطن المحاره

فهو لو ظلّ مصوناً
كان من بعض الحجاره

لا يكون الحسن فينا ،
هو طوراً في البشاره

كل شيء .. ينبغي الاعلانُ
عنه ، من مناره »

* *

« انما وحدتهم هذي التي
حققوها ، حزمة
من كربِ ...
سرُّها - بعد اللتيّا والتي -
كامنٌ في قبضة
من ذهبِ »

*

وبدت طلعة صِهيون
من الباب مُريبه
نهضت ماري على الأثرِ ،
وقالت بعذوبه :
« أعذُريني ! . . فلأختي
هذه روح عجيبه
انها تخشى من الليـــل
- اذا تسهرُ - ذيبه »
وعـــلا ضحكهما من
« خطرٍ » يؤذي الحبيبه
قال صهيون - وقد سارت
لمغناها الغريبه ،

فطواها الليل . . الا
أثراً ينسم طِيبه — :

« اسألي ربَّك ان يحفظنا
من كل ريبه ،
والبسي ما يشتهي الناس ،
ولا تأسَيْ لغِيبه ،

هذه الليلةَ . . يستهدف
قومٌ لمصيبه
وسيلقى كلُّ ذي هولٍ
من الهول نصيبه

فـ « الهغانا » . . إنني منهم
على رأس كتيبه . .
قررتْ ان ننسفَ الركن
الذي يحمي . . العروبه »

* *

طال بي الليلُ ، وما طال سوى
سهري فيه ، وسهدي
للحبيبْ
ليته يشكو تباريح الجوى
واجداً في النأي وجدي
فيؤوبْ

*

لبثت ثامار - طول الليل -
تستوحي سواده
صوراً ينفُضها الوهم ،
فتحلو مُستعاده

أفما أعلن صهيون
على البدو جهاده ؟
تارةً .. معصَمها تلويهِ
في سِمط القلاده

تارة .. مِرفَقها تثنيه
للرأس وساده

انها تفعل هـــذا
كله دون إراده

بـــين همّ وسرور
حُرم القلب رُقاده

كل قلب .. حظُّه من
أمسه ذكرى مُعاده

ليتها تدري . . أيشقى
ام سيحظى بالسعاده

صعّدت انفاسها ـ تشكو
من الليل امتداده

كلما غوّر نجـــم
قدحَ التالي زناده

شاطرَ البدرَ من الكِلّة
عيناها سهاده

اين من يُصغي اليها
هي في شبه عباده :

**

خلت دمعي .. يطفيء النار ، فلم
بقيت بين ضلوعي
تستعرْ
ملء سمعي .. نغمٌ ، لمّا يتم
آه من بشرى ربيعي
المنتظرْ

*

« أشبهت عيني – على جدولها
الجاري – حمامه

جلست – في الوقي – بعد
الغسل ، ترعى مستهامه

انا سورٌ ، قام ثدياي
كبرجين أمامه

قد براني مرض الحب ،
فمن يشفي سقامه ؟

يا ظباء الحقل من حرمون ،
يرعين وشامه ..

من رأى منكنّ من أهواه ،
يجري خلف رامه ؟

ليتني في بيت خمر
بيدي أملأ جامه..

فأمليّـــه مدامي
ويمليّني مدامـه !

صِرة المرّ حبيبي ليَ ...
ما أحلى ابتسامه

شفتاه سِلكة القرمز ،
والبطن رخامه

كلـــهُ مشتهياتُ
جعل المسكُ ختامه

هو ذا آتٍ مع الأيل ،
فاسمعنَ بغامه

وطّأ الحب له ما
بين ثدييّ مقامه »

* *

٣

باب الواد

اشرق البدرُ على رابيةٍ
فكساها الدَّجْنُ من ابهى
الحللْ
أترى الازهار من قافيةٍ
وجرى الجدول فيها
كالغزلْ ؟

*

حمدَ الجدولُ – في منعرَج
الوادي – انهمالَه
عندما قابل في صفحته
البدرُ خيالهْ
من ذُرى رابية ... توّجها
النور بهالهْ !
فمضى يكسر – كالفضة –
في الماء جماله
والصَبا تمشي الهوَينا
فوقه ، تبغي صِقاله
وعلى شاطئه – حيث
رمى النامي ظلاله . .

صخرةٌ .. ألبسها النور
مع الفيء غلالَهْ

فاذا الموجُ يمينَ الصخر،
والموج شماله ..

عالمٌ من انجمٍ
شاركتِ البدرَ احتفاله

كلما صفّق نجمٌ
رقص الثاني حياله

وتثنى العشبُ ، كي يسكب
فوق العشبِ باله *

ويبثُّ البدر في الاغصان
- كالشاعر - حاله

فاذا طيفٌ - على مُتّكإ -
يرعاه باله

**

(*) قارورة طيب

لبثا طيفين خلفَ الشجرِ
يرقبان الدرب، والليلْ
يطولُ
لا يرى الموضعَ غيرَ القمرِ
وعيون النجم كالخيلْ
تجولُ

*

كان - من مكمنه - «ظافر»
يستجلي شجونه
ساكناً، يصطاخ للصُّرُصر
اذ يغزو سكونه
فيرى الجدولَ . . في لمعته
يُذري شئونه
في أنـــين دائم
قد ملت الأذنُ أنينه
ويرى الواديَ . . قـد فتق
بالريحان طينه
وردُه بات، من الكثرة،
يُغلي ياسمينه

يا عذارى !خذنَ ما شئتنَّ
من عطر وزينه

وهناك الطود . . قد عرّى
الى الليل جبينه

قبّل البـــدر ذراه ،
وتحاشى السهلَ دونـه

يلمس الساري به خيطاً
الى قلب المدينه

وهنا السرحة . . حتى
عنه قد وارت قرينه

فهما في ظلها طيفان ،
لاذا بالسكينة

في انتظار « الذئب » ، كالليث
الذي يحمي عرينـه

* *

بيّتوا خطتهم ، حتى اذا
آذن الفجر باغلاقِ
كُواها ..
واستدار الليل يبغي مَنفذاً
عفّروا للواحد الباقي
الجباها

*

قال : « حمدانُ ! تأمّلْ
ذلك النجمَ المُطلا
هل تراه – ورواقُ الليل
ما زال محلى ...
بدرارٍ ، ذهبت تلقطُها
الأزهارَ طلا
فكأنّ الصبح لا يشرق
ما لم تستهلاّ –
لو على الصبح دليلٌ
من بقاياها ... لدلاّ »
قال : « كلاّ ! قد مضى الليل
بها .. الا الأقلاّ

فالثريا – منذ حين –
لم تكن تخفق ظلا

وهي ذي من برجها
العاجيّ – كالعقد – تدلى

كل شيء ساكن ، قد
هادنَ القمراءَ ... الا

جُدْجُداً . . يرعش بالعشب
صداه حيث حلاّ ... »

قال : « لا يُذهلنّكَ عن
موعدها ما نتمنّى

إنني أنشقُ ريح الفجر
من حول المُصلّى

قمْ نبادرْها مع الفجر ...
فان الليل ولّى !! »

* *

ظهرت أرتالهم في سيرها
مثل خيطٍ
كثرت فيـه العقدْ
ليس يُدرى خيلهم من غيرها
كل شوطٍ
بعده ثانٍ أشدّ

*

لم يكد ينبلجُ الفجر
على الوادي بنوره
مطلقاً عن يده البيضاء
سراب طيوره
فترامت في الفضـــاء
الرحب ، فيضاً من حبوره
كل طير يسأل الآخر
عن سر بكوره
دون ان يصغي للرجع
المدوّي في سروره
فكأن النغم التائه
لون من شعوره

وهما حيث هما ، ما
قلّدا غير نسوره
نظرات . . علقت بالدرب ،
عوذاً من شروره
تتقصاه الى التل ،
وتخفى عن صخوره
خلف «باب الواد» . . لا
تبصر الا بعض دوره
اذ بدت من كل صوب
مثلَ أسراب طيوره
نقطٌ في الدرب سوداء
على بعض سطوره
انه رتل من الأعداء
يدنو لعبوره

* *

لاح قرن الشمس . . خلف الأفقِ
دامي َ الصفحة . .هل تقفو
الأثرْ؟
حظهم شايعهم في الغسقِ
ذاك أن الحظ مكفوف
البصرْ

*

قال : « هل تبصر سيارتهم ...
تحت الغبارِ
نحن أولى بالذي تحمل ،
دفعاً للطواري
حيَّ هلَّ ! أنا باق
ها هنا صدرَ نهاري
أرصد القوم من التل ،
وأصليهم بناري
ومعاذ الله ان يفلت
مني — باختياري —
من يدانيني ، وهـــذا
المدفع الرشاش جاري

وأ لِكْ أنت ـ وراء التل ـ
أبنـاءَ نزارِ

انهـــا الذؤبان جاعت
وهي ـ في الجوع ـ ضوار
« قال .. « ها جئتك ! .. » وانسل
الى جذع يواري

نظرةٌ عجلى الى الدرب ،
وأخرى في الدثار
ثم لم يلبث ان استشرى
كمهرٍ مستطار

لا الحفا يثنيه عن عَدْوٍ ،
ولا طول العثار
ايه يا حمـــدانُ ! ان
الشمس عين في انتظار

* *

نكص القوم على اعقابهم
بعد ما شدّوا
لها ، بالأزرِ
اين يمضون ... وقد ولّى بهم
أجل يحدو
لنار السقرِ

*

وتُدوّي الطلقة العذراء
من خلف كمينه
جمد الباغي لها في
سيره الواني ، لحينه
من رأى سائقهم ... اذ
ينزوي خلف خدينِه ،
من رأى رائدهم ... يهوي
بدفقٍ من وتينِه ؟
ثم ظلّ الضرب رشقاً
يُتبارى في فنونه
عن شمال الدوح ، في الجذع
المُواري ، عن يمينه

كلما أزّ رصاص القوم
أغضى لهتونه

ثم أصـــلاهم بأخرى
ـ غِرّةً ـ وسطَ مئينه

واذا صـوت انفجـــار
غضّ ـ لمحاً ـ من جفونه

سائل الصبح وقد مُزّق
جلبابُ سكونه

بقعةً في الأفق حمراءَ ،
بها رجع أنينِـه

إنطوى عن ناظريه
منظر الشط بطينه

ام هو الليل ، وقد عاد
على الدنيا بدونه ؟

* *

حلّق العصبة حول البطلِ
بعد ان شُتّت
شملُ الفجرهْ
لاذ منه بعضهم بالجبلِ
والبقايا
جثثٌ منتشرة

*

وافاقت نفسه من
غشوةٍ طال كراها
إن في أنّته « أين أنا ... »
بعثَ رؤاها
واذا « الفتية » معقودٌ
على السفح لواها

من « لؤي » و « تميم »
و « كلاب » وسواها
وعلى رأسهم « حمدانُ »
يرعاه انتباها

لم يكد يبصره يفتح
عينيه شُداها

فيه ، حتى افترّ عن بسمته
الحيرى ، وباهى :

ما على جرحك بأسُ ،
عشتَ للحرب فتاها !

قد حمى القبة ، من شر
قبيلٍ ، قيل : تاها !..

من رماهم بك من
عليائه ، حين رماها

ردّ في نحرهمُ السهم ،
فباؤا بلظاها

عُصبٌ .. ولت - كما جاءت -
على غير هداها

سلمت كفك ... والباغي
اليهوديّ فداها

* *

ديرَ ياسين ! لقد عزّ على
قلب يس
بأن تهتك غيدكْ
يا مآسي «الطفّ»، هل عشت الى
عهد صهيون
فقد جاء يعيدكْ

*

وأتاهم خبر في القدس
كادوا ينكرونه
أن رتلا ثانياً باغت
أطراف المدينه
كيف جاز الدرب من وسطهمُ ،
والقوم دونه ؟
كيف لم تشعر به « عين » ،
وكانوا يرصدونه ؟
لم تكن في « الدير » الا
نسوة ، لما لقينه
فدنا يُصدر في الظلمة
أمراً ، لا يَعينه

ومضى في الدّور حرقاً
همّه منها الخزينه

ثم ساق الطهر ، مهتوك
الحمى ، يبكي أمينة

بعد ان جرّد من أثوابها
كل مصونه

كاشفاً ما ستر الله
لأمر ، لو كُفينه

ملهباً بالسوط أكتاف
العذارى اذ يقينه

ثم ألقاهنّ في بئر ،
وولى بالضغينه

بعد ان مزق احشاء
الضحايا برعونه !

* *

نامت الاعينُ ... الا مقلةً
شرقت بالدمعِ
ظلت ساهره
انت لا تملك الا مهجةً
ما عَناء الشمع
وسط الهاجره

*

صرخ الموت باهل القدس ،
فالكل انصياتُ
أنفاً .. حتى لقد مُلّت
مع الصبر الحياةُ
عندما القى اليهم
نبأ الروع الرعاة
فاذا الامة كالعين
وهاجتها قذاة
شاركت « يثربُ » فيها
الشامَ ، والنيلَ الفرات
هل خلت من اهلها القرية ،
ام غاب الحماة ؟

ام مضوا في البحث عن
اوتارهم ، حيث الجُناة

في قرى قد حصنوها ،
عملت فيها مئاتُ ؟

والتقى بالرتل ، في
احدى مغازيه ، اباة

فـــأحاطوه بطوق
من جحيم ، ثم باتوا

غضباً .. حتى تولى
شمله الدامي شتاتُ

فتلوح الراية البيضاء
تُزجيها قناة

فأذا المأسور من جيش
« يهودا » .. فتيات !

* *

قبح الله زماناً لم يعدْ
فيه للمرأةِ ، سَتْفٌ
وحُلي
هي كانت ... عرشها القلب ، وقد
صارت اليوم قذى
في المقلِ

*

نسوة .. ام شُبٌ من جمر
الغضا قلبُ اولاء
كيف شذّ الجنس فيهن
الى سفك الدماء
قال حمدان : « هنا ..
قائدة الرتل ... ازائي
فلنذِقها طعم ما
أنزلنه بالابرياء ! »
ورآها — برزت في
زيها الكامل — راء ،
فبدت في وجهه الدهشة ،
يا للتعساء !

لهْيَ « ثامار » ، وهل أفتنُ
منها في النساء ؟
قال : « يا قوم ، ألا تدرون
مَن ذات اللواء ؟
طالما قد نشرت صورتها
صحف المساء
انها اشهر من خمر
« فرنسا » في الغلاء
نبغت في « تلْ ابيب »
بين عري واكتساء
رقصها يحبس انفاس
المصلي .. فيرائي
اتراها طلعت للبَغي
فينا ، ام بِغاء ؟ »

**

خلق الله الى البأس رجالاً
وعلى الغيد لهمْ
شحذ الهممْ
هنَّ - ما يرعين في البيت عيالاً -
قمن نحو الجنس
بالفرض الأتمّ

*

وأبى « ظافرُ » ان يصغي
لدعوى قُرَنائه

هم يريدون بأن يصدق
سيفٌ في مضائه

يا ذئاباً مثلت في
دير ياسين بشائه

ما على الموتور بأس
إن تمادى في عدائه

كيف يرضى - بدم الرسحاء -
تلطيخَ لوائه

قال : « يا قوم ! لهـذا
الليل صبح من ورائـه

ما لكم تنسون حقاً
هو شمس في جلائه

يزعم الباغي بأنا
لم نعد من نظرائه

أفترضاه نظيراً
سادراً في غلوائه

لم يزل في هيكل
الأوهام ، رهناً بشقائه
من سواه زجّ في الميدان
- جنداً - بنسائه

لم نثر نحن على البغي
ليعدينا بدائه
أطلقوهن ... فلا خوف
علينا من إمائه ! »

* *

«رايةٌ واحدةٌ ... جاءوا بها
تحتها اهواؤهم
مختلفة
هذه الارضُ ... لنا من طيبها
فلنا العجلُ ، وهم
مَن علفه »

*

قال صهيون : « لقد احسنت
صنعاً ، يا جميلة !
شيخهم نال – باطلاق
سراح الغيد – سُوله
ان من يسعى لامر
لا يبالي بالوسيلة
قد ابيح الجور في الحب ،
وفي الحرب الدغيلة
هؤلاء القوم .. ما
اعماهمو عن كل حيلة
ايظنون بأنّ النصر
يأتي بسهولة

ليس في حرب نغذيها
مجال للبطوله

لو قدرنا لقطعنا
دابر العالم غيله

فدعيهم يقرعون اليوم
الماضي طبوله

نتولاهم شعوباً
بقضايا مستحيله

لهب « الثورة » نلقي
في لظاها بالفضيله

بينما تحيين ـ للمسرح ـ
انت ـ الليل طوله
« هدنة » ... ان قبلوها

* *

نعَب البوم من الغرب عليهم
باعثاً في ساعة النصرِ
وسيطهْ
انما الهدنة ... منهم واليهم
لِمَ لا يُملي على مصر
شروطهْ

*

عـــبر « الاردن » جيش
بات يُصلي « القدس » نارا
ادويٌّ المدفع الضخم ،
ام البرق استطارا ؟
واستحرّ القتل ... حتى
عمّها داراً فدارا
بينما سار من الساحل
جيش يتبارى
خبباً .. تسمع في وطأِ
جواليه اختصارا :
« تلْ ابيبٌ ! تلْ ابيبٌ !
منيَ الباغي اندحارا »

كلما شارف حصناً
دكّه .. الا جدارا

ظلّ .. صخراً فوق صخر
لا يقي غير الاسارى

والتقى العقبـــان فوق
«اللدّ» ، زحفاً وانحسارا

درَكاً ، من مطلع الشمس
الى ان تتوارى

وتمـــادت زُمرة في
ضربها «اللدّ» مطارا

فكأن «اللد» بحر
غرقت فيه حُبارى

واذا صوت من القدس
ينادي : أحذارا !

* *

فى الفردوس المحفوظ

٤

هيكل سليمان

تركوا الواديَ للجيش ، وعودوا
للتحري
في روابيها ، ثنى . .
لا يريد الحزم الا ما نريدُ
ألف وكر
للهغانا ، خلفنا

*

نصبت رايتها العصبة
في « اللدّ » ، وأحرِ ...
فأزاحت عن طريق النصر
صخراً ، أي صخر
ولقد نازع صهيون
عليه كل شبر
جاثماً من ذلك الوادي
المسجى ، فوق صدر
والتقى « الأردنّ » في
ضاحية اللدّ بـ « مصر »
فاذا عينٌ لثاني اثنين
يلقاهم بنشر :

« أتركوا الوادي للجيش ،
وعودوا للتحري . .

بين آكام ، ففيهـــا
ا « هغانا » ألف وكر »

وسرى عنه أباة الضيم ،
تنفيذاً لأمر

مفسحين الدرب للسيل
(أما ساخ ؟) ليجري

فاذا « الرملة » و « اللد »
معاً ، مطلع فجر ،

في يد الباغي ، وقد
عادا له من غير عذر

كيف هذا كان ؟ لا أدري ،
ولا العصبة تدري !

* *

حدثٌ ... أنكره من سمعه
أن حاميها
هو اللص بعينهْ
لا تسلني من عليه التبعهْ
أيراعيها
الذي غص بدَينه

*

وأتى العصبـــةَ آتٍ
كان في « حيفا » الجديده
عندما مد لها صهيونُ
ـ كالحية ـ جيده
قال : « روح الخبث في
أبناء تاميز عتيده
فهمُ قـــد أوقعونـــا
ـ لا سواهم ـ في مكيده
انهم ـ لما جلوا بالجيش ،
طاوين بنوده
بيتوا في الليل أمراً
عاين الصبح شهوده

فلقد اوعز للقائد
اذ حيّى جنوده
ان يذيع الخبر الأسود
في كل جريده
انما يختص بالسرّ
الذي ينوي ، يهوده
لم يكد يترك هذا
في موانيها وقوده
سَحَراً ، حتى أتى الثاني ،
فكان اليوم عيده
أيها أشكو اليكم ،
فقضايانا عديده
فاقبلوها هدنة ، حدّت
الى « كلّ » حدوده ! »

* *

قل لمن يعثر منهم : لا لَعاً !
مَنْ سواهم
عهده خرق العهودْ؟
لا تقولوا قد جلوا عنها معاً
ما جلا عنها
الذي أبقى اليهودْ

*

صرختْ في وجهه دعدُ :
« ألا بُعداً وسحقا ..
أفيضطرُّوننا الآن
الى الهدنة حقا ؟
بعد ان جزنا لها كل
دروب النصر سبقاً
دربهـــا المفضي الى
نابلس ، والآخرَ شرقا
اين عنكم تل ابيب ؟
لم تزل رعداً وبرقا
لم يكن من دونها غير
خطى ، ثم تُنقى

فيتم النصر بحـراً ،
ويموت العجل غرقا

فاذا بالوضع قد أصبح
ـ بالمُسعد ـ أشقى

ارغم الراعي على ان
يكرع الحلبة مذقا

ها بنو صهيون ، لا
يألون للهدنة خرقا

بينما من جاء منكم
منقذاً ، جاء ليبقى

ملكٌ يدعو الى بيعته ،
فيما تبقّى ..
من أراضينا ، وما نازع
إسرائيل حقا ! »

* *

أيكون ابنُ البغايا – مُغرماً
بقضايا الجنس
حتى في جنينهْ –
كالذي فطرته تأبى العمى
فهو لا يحلم
الا بخدينهْ ؟

*

غض عنها طرفه ظافرُ
في غمرة حزنه
لم يكن يؤمن ان البيد
في العقم ، كمدنه
أيكون ابن البغايا
– أحفل الناس بأمنه ؟
ضل عنه رشده ، من
طول ما لاذ بسجنه–
كالذي يدرك رمز الكون
في عبرة مزنه
وفضاء الله ممدود
لمثواه وظعنه ؟

انما قد صُرع العـُرب
من العجل بقرنه

منذ كانوا ... وهمو
ماضون في توهين شأنه

لو أصابوا ذهب الأرض ،
لما اهتموا بوزنه

فجنى الجاني عليهم
من خبايا — خلف فنه

وابتلاهم « بجدهم »
بالخُلف في ترجيع لحنه

ولقد عاش أبونا
ناعم البال بِعـَدْنهْ

فاذا الفردوس شيء
غير ما قُدّر لابنه

* *

اترك الحية ، تغشى مرة
ركنك الدافيء
في برد شتائك ؛
تسرح الحية فيه حرة
لا تبالي عشتَ
ام مِتَّ بدائك

*

وأتمت لجنة التحقيق
تعيين الحدودِ

فرأوا خير قراهم
ضمها ملك اليهود

فاذا القائم في اعماله
نصف قعيد

واذا الغائب عن أوطانه
مثل الفقيد

واذا السيد في أملاكه
دون المسود

واذا الشعب طريد
من يبالي بالطريد ؟

كل ما ظلّ الى الابناء
من ارض الجدود

هو قبر مستقل
كان مثوى للشهيد

وتلا صهيون منشوراً
له في يوم عيد :

« ان اردتم ان تقيموا
في حمانا ؛ كالعبيد

(فرعايانا عليهـــا ،
لا لها ، رعي العهود)

فلكم ذاك ، والا
فانزحوا عنا ، لِبيدِ . .

تركتها لكم اللجنة ،
من غير حدود »

* *

نكبةٌ ، حلت بأهل السفن
في حماهم ، لا توازيها
مصيبهْ
أمس عن أندلس .. في سفن
اين عن عبرة ماضيها
العروبه ؟

*

ألفُ ألفٍ ... نزحوا عن
ارضهم من سوط بأسه

هذه تدعو اباهـــا
ذاك يستأني لعِرسه

كم بكى فيهم وحيد
ما بكى الا لأمسه

كم سعى فيهم عليل
ما سعى الا لرمسه

فتغنى بهم ُالليلُ
الى مطلع شمسه

هذه « ماري » ، عليها
كل ما رثّ ، للُبسه

جمدت عبرتها ، فالدمع
لا يُسلي بنفسه

ان تصبّحْ بطنها ،زاداً
وريّاً ، لم تُمسّه

كيف لا تذكر مأساة
اخيها وسط درسه

والذي باغتهم .. جار
لهم – تباً لجنسه !

من رأى أطلس ينقضّ
على صيد، لـفرسه

فرماها ،بعد ما طوّح
في الارض برأسه ...

ليتها ماتت على الفور ،
ولم تشقَ بغرسه

**

أيّ حال مؤلم.. آلوا اليه
بعد ذاك العز
في ارض الوطن
نضبت أدمع من يبكي عليه
انما الوزر على
من لا .. يُحِنّ

*

قال : يا دعدُ ! لقد ضاق
بنا فيها المقامُ

لا مراعينا كما كانت ،
ولا البيت الحرامُ

أين جميزتنا ... في
ظلها كنتُ أنام ؟

سلمَ الجذع ، فقد قطّعها
القوم الطغامُ

أين شاء كنت أرعاها ،
وللشاء بغامُ ؟

لم تعد منها ولا ثاغية ،
فالكل هاموا

ام غدت مسلوخةً ،
فاللحم غال والطعامُ

أين اصحابي ... حمدان
وفوزي وهشامُ ؟

بعضهم يسهر مثلي
ثاكلاً ، والبعض ناموا

شتتت من شملنا الايام ،
فالدنيا ظلام

والذي قد نـام منا
حظه منها الرِّجام

لا تقولي : اين نمضي ؟
اين يمضي المستهام ؟

وطنٌ ضاع ... عليه
من ضحاياه السلام

* *

لا تقل ... لم يبق لي فيها أملْ
انا في المحنة
كلّي أملُ،
لك في تاريخنا الف مثلْ
اصدقوا النية ..
لا تتكلوا !

*

فأجابت دعد : كلا ،
لم يضع منا ، حبيبي !
هي ذي أعرافـــه ، ما
برحت تزكو بطيب
وطن الزيتون والتين
واجرانِ الزبيب
وطن الناي ، وقلبين ،
والحان الغروب
وطن الورد ـ ألا تعشقه ـ
والعندليب
ان تكن جميزةٌ ، وارفةٌ ،
عادت بحُوب

فلها في كل واد
اخوات تختفي بي

فرعها نامٍ ،وللجدول
صوت من فريبِ

واذا كانت شياهي
مسها نارُ الحروب

ما عنى ذَلك ان
البؤس باقٍ ، من نصيبي

سترى الرعيانَ يأتون
بها عند المغيب

لا تقل : نتركه نهبا
الى كل غريبِ !

وطني لو فيه شاةٌ ،
ما اخليها لذيب

أمة الابطال ... لكن جاثم
بينها كل خؤونِ
كالوثنْ
هاك يا موتِ ! — فقلبي ناقم
ودمي يغلي — يميني
للوطنْ

*

قال : فابقَي ها هنا ،
لا بد من قتل فلانِ
الذي .. لم يُشهدِ الحربَ
سوى روح جبان
فلقد دانت له الخيل ،
فألقى بالعنانِ
وعلى تقسيمها أمضى
لهم عهد الامان
الذي .. عَوَّذ اسرائيل
بالسبع المثاني
بعد ان عاشت على ذلتها ،
بالهيَمانِ

فغدا بين يدي أسلافه
اكبرَ جان
الذي . . نافق في القدس ،
فصلى بالثمان
طمعاً في الملك ، حتى
سخرت منه الاماني
ثم لا يأنف مـــن
تشريدنا ـ اهلَ المكان
فعليه لعنة الله ،
على كل لسان
انا يا دعد ! له ،
لا خانني فيه زماني
لتراحَ القدس من غدرته ،
والحرَمان ...

**

في الفردوس المحفوظ

٥

قبّة الصّخرة

ودعت أحلامها في صمتها
ما كحسن الشمسِ
عند المغربِ
ما هي الأدمع ؟ .. حتى لُمتِها :
« يا مرايا أمسِ ..
كفّي واغربي »

*

ومضى ظافر لا يلوي
على شيء لثامهْ

بعد ان ودعهـــا ،
توديع مَنْ سِيم حِمامه

كيف ينسى نظراتٍ
زودته بالسلامه

كانت الاولى احتضارَ الحب ،
والاخرى .. قيامه !

ما حواها ـ ضمةً ـ اكثر
من نَغْبِ حمامه

قبلةً ما بين عينيها ،
واخرى فوق شامه

ثم ولى .. دون ان ينبئها ،
الغيبَ الى مَهْ

ولقد ظلت وراء الشبح
النائي .. حَذامه

تتقصّاه بطرف
شحذ الحزم سهامه

ثم لا تفتأ ان تُرجع
في الاذن كلامه

كم أجالت من بعيد
نظرة كالمستهامه

طرفها خُضّل دمعاً
وعلى الثغر ابتسامه

بات ، لا يذكرها الا
وألفاها أمامه

* *

أيها المسجد ! هل تحفظ ما
بات يُروى فيك
عن جد الحسين
أنت ثاني اثنين جلاً حرما
كنت في ماضيك
أولى القبلتين

*

واحتفى بالمسجد الأقصى
الذي بورك حولهْ

فمشى في صحنه يذكر
للرحمن قولهْ

هـذه القبة ان جر
عليها الدهر ذيله

فلها في كل قلب ،
قوّم الايمان ميله ،

خفقةٌ تذكره بالمجد،
لما سال سيله

من هنا صارت الينـــا
في شعاب الأرض دوله

كم بغت هند عليها
وحبتها الود خوله

ورأى من تحتها الصخرة
في خير زويله

أتلقت عندها العذراء
حلماً ذات ليله ،

فاذا الوحي سلام ،
واذا المولود أيله ؟

وسواء أعليه
كان هذا البغي او له

ان للباطل ، في معركة
الحق ، لصوله

ويلَ من جاء لكي يمتهن
الصخرة ، ويله !

* *

فرّقوا بينهما في المجتمع
وهما – لو علموا –
شيء أحدْ
ما « يهودا » غير « صهيون » خضع
أشربا التوراة
روحاً وجسدْ

*

ورأى « المبكى » ، الذي
حالت عليه الفُ بصرَهْ
فاذا سمكُ جـــدار
أنقضَ التاريخ ظهره
سرحت من حوله الاطياف ،
تستنطق صخره
في شحوب ... فتظن
الميت قد فارق قبره
وحداد .. لكأن الليل
قد قام بهـجره
عُمْشاً ، الا اذا أيد
جرت تمسح عَبره

ما لهم غير دعاء ،
رجّعته كل عشره

« ان يكن يومك نحسا
فلنا مجدُك بكره ! »

أفهذا كل مـــا ابقى
« سليمان » لـ « عزره » ؟

ملك ... هيكله قد
أُنسِيَ العالم امره

فهمو ما برحوا يُحيُون
للنائح ذكره

ويودون بجدع الانف
لو عاد . . وعصره

ذاك ما يَحفز صهيون ...
فلا يُبلِّغ عذره !

* *

لا تقل . . قد سلفت أيامه
لم يزل فرعون
في هذا الزمانِ
تلك دعواه ... وذي أحكامه
كل من يرضاه
راضٍ بالهوانِ

*

وأتى في قصره فرعون ،
والقصر منيعُ
انه يحمل غدّارته ...
هل يستطيعُ ؟..
كيف لم ينكره في القصر
رقيب او صنيعُ ؟
ان في حوزته محفظة ،
وهي الشفيع
فعليها ختم من يخشاه ،
كالموت، الجميع
لو دروا من سَلَّم « الرملة »
و « اللد » ، لريعوا

هو ذا فوق سرير
كل ما فيه فظيعُ

رقعة الشطرنج ما بين
يديه ، والشموعُ

وعلت ضحكة فرعون ،
فحلاّها المذيعُ

قال : مات الشاه ! ،
واستطلع كالديك يقوع

فجرى في وجه فرعون
بها ، أين الجموعُ ؟

فاذا شهقـة هاو ،
واذا وجهٌ مروعُ ،

ثم مال الرأس فوق الصدر
فالبغي صريع !

* *

افلا يروون للشاعر قولاً
هو جدٌ ، في اساسهْ
و كفى !
فاستبِدّوا .. انما العاجز من لا
يستبد ، في التماسهْ
نَصَفا

*

شبت الثورة في انحائها ،
من غير عونِ
بعد ان جاوزت « الاردنْ »
في طرفة عينِ
من ربى الشام ، ولبنان ،
ووادي الرافدين ،
وثرى مصر ، الى القدس ،
وارض الحرمين
آذن الحق بها حرباً ،
على « ذاك » ، و « ذين » ..
من « شهاب » واخيه
ما اذلّ الاخوين

وعلى كل يهوديّ
تقاضاهم بدين
نُسف المبكى .. فلا باكين
يُرعَون بصون
ثورة للأرض ، والاخرى
على اصحاب مَين
كان فيها الحكم المدفع ،
لا للكتلتين
فاذا القدس لسان
من لهيب الثورتين
ناطق بالفصل ، قاضى
شعبهم عيناً بعين
فجلا صهيون عنها
ناقماً ، صفر اليدين

* *

جثث .. صارت الى النار .. ذبالة
فهي ذي في الرمل
صرعى ، قِدَدا
وعلى الخط الحديدي شمالة
ليس غير الرمل
يبقى ابداً

*

ومضى الثائر في ثورته ،
يسعى لثاره

ما شعـــار الحق ، في
ماضيه ، الا كشعاره

« لا نبالي .. انما الجنة
حُفّت بالمكاره »

فيوافيهـــم رذاذ
من رصاص في انهاره

ولستمر القصف ، لا حرمة
فيه لجواره

يجم السرب ، فلا ينكص
الا لاضطراره

ملقياً ما شاء من زاد
الردى فوق وِجارِه

فيكاد الفجر ينشق
على ضوء انفجاره

او كأن الليل قد عاد
لتلطيخ نهاره

كم هوت طائرة في البيد
من رشق عياره

« لا نبالي .. » ، فهناك
النصر دوماً في انتظاره

ورأوا يوماً – وقد صدوا
هجوماً لابن عارهَ

جثثاً في الرمل شتى
بينها ، في ضوء ناره ...

* *

افهذا جسمها الفاتن، ام
ليت شعري ، ضِلةً
ماذا دهاه؟
منظر قد قزز النفس ، فلم
يشفِ منه غلة
من قد رآه !

*

هذه « ثامار » ملقاةً
على الرمل ، كباله
لا يواري حسنها شيء ،
وما اتعس حاله
جسد قد حشته النار ،
حتى لا تخاله ..
هو اياها، ولا الدل
الذي كان دلاله
واذا ثغر .. راى في
كشرهِ الموتُ خياله
واذا العين عليها
من عِيان الهول هاله

واذا الشعر خيوط
بعد ان كان حباله
واذا النهدان .. ما الجمر ؟
.. وقد ذاقا وباله
اين ما ثارت عليه
فتنةٌ ،في كل صاله
افهذا بطنها الضامر ،
ام ماذا جرى له؟
واذا في موضع الصون
من الحرق غلاله
قد كساه الشعر قبحاً
كل من يرعى ابتذاله
ما تخال الخود الا
كومة اللحم ، محاله !

**

غادرتها * طعمةَ النار يدٌ
سرحت فيها
الى امس القريبِ
واذا أنكر حالاً جسدٌ
ليس ينفيها
له ، لمسُ الجنوبِ

*

ملأ الأفق غمام
غمر البحرَ بمزنه
وجرى يلقي على زهر
الربى احمال سفنه
باعثاً في ميّت العود
حياة ، بعد دفنه
من توارى تحت أطباق
الثرى ، مُصغ للحنه
مسٌ - كالبلسم - جرحَ
الشعب ، في اطلال مدنه
مطفئاً من ألسن النيران
ما شبت لحزنه

(*) الضمير يرجع الى المدن المنسوفة .

فهي ما زالت تَشَكّى
حُرَق الناجي بأمنه
واستمر الغيث ينهار ،
وقد جاد بمنّه
فاذا البرق كأنسيّ
محاطٍ ، وسط دجنه
تارة يدرأ بالسيف ،
وطوراً بمجنّه ،
فتظن الليل قد مزق
من صرخة جنه
طالع المسجدَ من شؤبوبه
طائرُ يمنه
لكأنّ الحرب ثارت
من جديد ، حول صحنه

* *

ليس « ماري » غير احدى غيده
طلبت في احسن الحالِ
لقاكا
وُحّد الباريء في توحيده
كلنا ، يا وطني الغالي
فداكا

*

لحقت « ماري » بدير
فلها فيه عزاءُ
بعد ان عاد بهـــا
للمسجد الاقصى الولاءُ
وجلا عن كل شبر
من رُباه الدخلاء
من رآها في مُسوحٍ
غادرتها الكبرياء
تذرف الدمع .. وللديّان
قلب لا يُساء ..
تطلب العفو .. على ما
قلبها منه براء

من رآها تتلقـــى
دعدَ ، اذ يأتي المساء

عند واد ، سال يجري
فيه ، كالفضة ماء

حولها رعيانها .. في
مسرح الوادي .. وَشاء

فتحييها ، كما حيت
مغانيها السماء

بزهور ، لم يزل يقطر
مِن فيها الهناء

فتسيران الى حيث
بها دعدُ تشاء

ضمت الاوطانُ ما بينهما
... والشهداء

* *

هذه « دعد » و « ماري » ، لها
مشهد ، من لم يصدّقهُ
كفالِ
ضمت الاحزان ما بينهما
يا صليباً ، زانه عقد
الهلال

*

وقفت دعد على قبر
ثوى فيه الحبيب
في يديها وردة ، قبّل
فاها العندليب

فهي حمراء ، لها من
زهوها حسنٌ وطيب
اخذت تنثرها ، والدمع
بالطل يذوب

انها لم تنس - والانجم
تبدو وتغيب -
كيف كانا يرعيان الشاء
... اذ اقبل ذيب ...

انها تذكر ، والذكرى
لها لَقْطٌ عجيب ،
صوته العذبَ – وقد مالت
فثنّاها ،يجيب :
« انا يا دعد ! له . . » ثم
مضى . لا يستريبُ . .
ولقد ثار لها الشعب ،
وتلقّتها حروب
كان للهول الذي شُنت
به ، الدهرُ ينيب . .
كل هذا كان – لو يعلم –
والعهد قريب
فليطبْ نفساً ، فما في
الوطن الغالي غريب !!

* *

كان الفراغ من نظم هذه الملحمة (ارض الشهداء)
في يوم الخميس ٣٠ ذي الحجة سنة ١٣٦٩
الموافق ١٣ اكتوبر سنة ١٩٥٠

فهرست

صفحة

فاتحـــة ٩

في الفردوس المحفوظ

١ جبل الزيتون ١١

٢ نشيد الانشاد ٣٩

٣ باب الواد ٦٧

٤ هيكل سليمان ٩٥

٥ قبة الصخرة ١٥١

للمؤلف

•

الشعر والفنون الجميلة بحث تحليلي (دار المعارف بمصر ١٩٥١)

الاساليب الشعرية » » (دار الاديب ، بيروت ١٩٥٠)

قبلتان قصة شعرية اندلسية (دار العلم للملايين، بيروت ١٩٤٨)

العرائس مجموعة شعر (دار العلم للملايين، بيروت ١٩٤٦)

وامعتصماه رواية تمثيلية (القاهرة ، ١٩٣٢)

الذكرى مجموعة شعر (بغداد ، ١٩٣١)

يطلب هذا الكتاب

•

في سورية ولبنان : من شركة فرج الله ووكلائها

في العراق : من السيد محمود حلمي

في البحرين : من السيد ابراهيم محمد عبيد

في تونس : من السيد محمد خوجة

١٤٢/١٠/٥١

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 072249475

الثمن ٢٠٠ قرش لبناني او ما يعادلها